

المشاركة الشعبية والشعارات الإسلامية

المكان: طهران

الزمان: ١٣٨٩/١٢/١٩ ش. ١٤٣٢/٤/٥ ق. ٢٠١١/٠٣/١٠ م.

المناسبة: الاجتماع السنوي لأعضاء مجلس خبراء القيادة

الحضور: أعضاء مجلس خبراء القيادة

بسم الله الرحمن الرحيم

مرحباً بكم كثيراً أيها السادة المحترمون وخبراء الأمة الأجلاء، وأشكر جهود الإخوة الأعزاء والسادة المحترمين، سواء خلال هذا الاجتماع الجاري، أو على امتداد العام في اللجان الخاصة التي يشارك فيها السادة ويبدلون جهودهم، ونحن ندعو لكم.. تقبل الله منكم إن شاء الله ووفقكم وسددكم.

نشكر جميع السادة، وخصوصاً حضرة الشيخ هاشمي رفسنجاني لأنه أحبط توقعات الأعداء بوجود خصومة. كانوا يتوقعون وقوع خلاف بين خبراء الأمة، وأن تبدو التنافسات على غرار التنافسات الدارجة في العالم المادي، ويتحول سباق الخدمة إلى تنافس سلبي لشغل المواقع والمراكز، وهذا ما لم يحصل والحمد لله. وقد كان هذا هو المتوقع من حضرة الشيخ هاشمي في ضوء سوابق عقلانيته وشعوره بالمسؤولية التي شهدناها فيه دائماً. والانتخاب الذي قمتم به

أيها السادة كان انتخاباً حقاً وفي محله. فسماحة الشيخ مهدي شخصية بارزة ومميزة سواء في عالم علماء الدين أو في عالم السياسة أو في قضايا البلاد الجارية أو في قضايا الحوزة والجامعة منذ بداية الثورة وإلى اليوم. ما حصل سيكون لخير الإسلام والمسلمين ببركة إخلاص السادة وإخلاصكم والعقل والتدبير الذي يشاهده المرء في السلوك والأقوال، وهذا هو المتوقع.

ظروف البلاد الحالية ظروف مهمة وحساسة جداً في ضوء قضايا المنطقة. أحداث المنطقة أحداث تتجاوز أبعادها الحدود المألوفة للقضايا الجارية تماماً. ما يحدث له أبعاد عظيمة جداً. أما الشيء الذي يريده الأعداء والانتهازيون والاستغاليون الدوليون والمستكبرون وما سوف يقومون به فبحث آخر. ما حدث له ميزتان مهمتان جداً. وهاتان الميزتان ما يتمناه كل المسلمين الصادقين والأفكار السامية في الثورة الإسلامية وفي الجمهورية الإسلامية وفي سائر مناطق العالم. هذان الأمران هما المشاركة الشعبية والشعارات الإسلامية. هذان الشيئان مهمان للغاية.

التواجد الشعبي معناه أن تتواجد الشعوب بأجسامها وبمشاركتها وحضورها الشخصي في ساحات الكفاح وتحمل الأخطار على غرار ما حدث في إيران. حينما يحصل هذا لا تتمكن أية قدرة من الوقوف بوجهه. وأمريكا ومن شاكلها سهلة، بل حتى لو اجتمعت واتحدت كل قوى العالم فلن تستطيع المقاومة أمام الشعب الذي نزل إلى الساحة بكل وجوده. طبعاً قد يمارسون القتل وسفك الدماء لكنهم سينهزمون وسيقتصر الدم على السيف كما قال الإمام الخميني في تلك الأعوام. لقد حصل هذا الشيء. نزل الشعب بجسمه ووجوده إلى الساحة ولم يبعثوا ممثلاً ولم يكتفوا بالكلام، وليس في بلد واحد بل في عدة بلدان، والأرضية متوفرة في بلدان أخرى. هذه نقطة مهمة جداً. ليس بوسع شيء إيجاد مثل هذا الوضع سوى يد القدرة الإلهية. تتوفر الأرضيات ويمارس الأفراد دورهم - لا شك في هذا أبداً - لكنها يد القدرة الإلهية التي تمتلك القلوب، و «قلب المرء بين إصبعي الرحمن». الله تعالى هو الذي يثبت العزيمة في القلوب ويعبئ

الإرادات. ويد القدرة الإلهية محسوسة في هذه الأحداث. ولأن يد القدرة الإلهية موجودة فالنصر أكيد.

النقطة الثانية في هذه الأحداث هي الشعارات الإسلامية. الجماهير في هذه البلدان وفي سائر البلدان الإسلامية جماهير مسلمة وجزء من الأمة الإسلامية. وحتى في المواطن التي كانت فيها المظاهر الإسلامية محدودة كان ذلك بفعل الضغوط، فالجماهير مؤمنة متدينة ومسلمة والإسلام متجذر، فهذه من خصوصيات الإسلام. في البلدان التي حاول فيها الماركسيون بكل ما أوتوا من قوة إزالة الإسلام ومحوه، بمجرد أن سقط النظام الشيوعي السوفيتي خرج الناس ورفع الشباب الذين لم يدركوا الفترة الإسلامية أصلاً شعارات إسلامية. هذه خصوصية تتعلق بعمق الإسلام وتجذره في القلوب.

وكذا الحال هناك.. طبعاً توجد حوافز ولا تزال - حوافز ليبرالية وربما بدرجة أقل اشتراكية وقومية وما إلى ذلك - لكن عموم الشعب مسلم والشعارات إسلامية. خصوصاً في بلد مثل مصر حيث الإسلام هناك عريق وعميق جداً والقرآن سائد ومحبة أهل البيت سائدة.

إذن، الحدث حدث عجيب يقع حالياً. ولا يزال هذا الحدث في بداية الطريق. حسناً، نحن بصفتنا جمهورية إسلامية، ونحن الحاضرون هنا بوصفنا مسؤولين في الجمهورية الإسلامية، وكذلك باقي المسؤولين، تقع على عواتقنا واجبات يجب التنبه لها وينبغي أن لا نمرّ مرور الكرام بهذا المقطع الزمني.

من الأمور التي كانت مؤثرة في هذه الأحداث بلا شك النموذج والخطاب الذي وفرته الثورة الإسلامية. لقد أضحت الثورة الإسلامية نموذجاً للمسلمين، أولاً بظهورها، ثم بتأسيسها الناجح لنظام الجمهورية الإسلامية حيث استطاعت عرض نظام بدستور كامل وتكريسه وتحقيقه، ومن ثم

بقاء هذا النظام على مدى ٣٢ عاماً حيث لم يستطيعوا توجيه ضربة له، ومن ثمّ تمتين وتقوية هذا النظام باستمرار - حيث لا يمكن مقارنة نظام الجمهورية الإسلامية اليوم من حيث العمق والتجذر بما كان عليه قبل عشرة أعوام أو عشرين عاماً أو ثلاثين عاماً - ثم هناك حالات التقدم المختلفة في هذا النظام حيث التقدم العلمي والتقدم التقني والصناعي والتقدم الاجتماعي ونضج الأفكار وظهور أفكار جديدة والحركة العلمية الهائلة في البلاد والأنشطة المختلفة والعمران الحاصل في البلد حيث بلغ البلد في بعض المجالات درجة البلدان المعدودة الأولى في العالم. هذه كلها أحداث وقعت وهي أمور محسوسة لدى الشعوب المسلمة فهم يرونها ويشاهدونها. جاءت هذه الثورة وأسست نظاماً، وقد بقي هذا النظام وتعزز يوماً بعد يوم وتقدم باستمرار. هذا هو النموذج. صناعة النموذج هذه أوجدت خطاباً هو خطاب الهوية الإسلامية والعزة الإسلامية. الشعور بالهوية الإسلامية بين شعوب العالم حالياً لا يقبل المقارنة بما كان عليه قبل ثلاثين سنة. الشعور بالعزة الإسلامية والمطالبة بها حالياً مما لا يمكن مقارنته بالسابق. هذا شيء حصل.

حسناً، من الطبيعي أن تكون نتائج ذلك هزيمة الجبهة المخالفة المقابلة. المستبدون الفاسدون العملاء كانوا يمسكون زمام الأمور في بعض الأماكن. وقد وعد الله تعالى: {سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ} (١). مكرهم لن ينفعهم شيئاً، إنما بسبب نفس هذا المكر سيصيبهم الله تعالى بالذلة والهوان. هذا ما حدث وهو أمام أنظارنا.

هذه من الأحداث الأخرى التي شاهدنا فيها آيات القرآن الإلهية أمام أنظارنا وجربناها، وهي حالة تنتمي لزماننا وتعدّ قيمة جداً. ما وعد به الله في القرآن نراه نصب أعيننا وفي تجاربنا.

جانب كبير من الإعلام المعادي للجمهورية الإسلامية يركز على هذه المسألة، أي على أن لا يتوفر النموذج والمثال، ولا تغدو الجمهورية الإسلامية نموذجاً ناجحاً في أنظار الشعوب

المسلمة. أعتقد أن هذه نقطة على جانب كبير من الأهمية ويجب أن نتنبّه لها كلنا. محاولات الأعداء منسوبة على أن لا تتحول الجمهورية الإسلامية إلى نموذج ناجح في أعين الشعوب، إذ حينما يتوفر النموذج تتحرك الجماهير نحوه، وحينما يعلم الناس بنجاح هذا النموذج فسوف يتشجعون.

كتب أحد الكتاب المصريين قبل خمسين أو ستين سنة في أحد كتبه إننا إذا استطعنا أن ندير منطقة من مناطق العالم بحكومة إسلامية لكان ذلك أكبر تأثيراً في تقدم الإسلام من آلاف الكتب والعمليات الإعلامية. وقد كان على حق. مع أن نموذجنا ليس كما نتمنى من حيث انطباقه مع الإسلام - ولا تزال المسافة كبيرة للأسف بيننا وبين الشكل المنشود من تطبيق الإسلام - ولكن بهذا المقدار الذي استطعنا أن ننجح فيه وأن ندخل الإسلام إلى المجتمع والحياة فإننا نشاهد آثار ذلك وما أدى إليه من عزة وقدرة وتقدم واستقلال. هذه أحوال يشاهدها الناس. والأعداء لا يريدون انطلاق هذا النموذج، لذلك يحاولون تخريبه في أنظار المتلقين. هذه من الممارسات التي دأبوا عليها منذ بداية انتصار الثورة ولحد الآن. إذا كان لدينا نقطة ضعف ضخمها في الأنظار وإذا لم يكن لدينا ضعف اختلقوه لنا كذباً. هذه مسألة ينبغي أن نتفطن لها. إنها من الأمور الأساسية التي يركز عليها العدو في إعلامه ضد الجمهورية الإسلامية، وجهوده كلها منصبة على هذا المعنى.

ثمة عاملان يساعدان بعضهما في إضعاف هذا النموذج، أحدهما العامل الداخلي والمتمثل في النواقص الموجودة وتقصيراتها وتقاعسنا وكسلنا والابتلاء بأمور مضرة بالحركة - كالاختلافات والمخالفات المتنوعة والميل للدنيا والانجرار إليها والتعطش للسلطة وعدم التدبير السياسي وما إلى ذلك - هذه أمور ناجمة عنا ونحن الذين نوجد هذه النواقص والعيوب. هذا العامل الداخلي يضرّ بهذا النموذج.

العامل الآخر يرتبط بالعدو، وهو أن يعمل العدو على تضخيم نواقصنا مئات المرات ويعرضه أمام أنظار الآخرين، مضافاً إلى اتهامه لنا بالعيوب التي ليست فينا. فماذا يجب علينا أن نفعل الآن؟ علينا أولاً أن نهتم لوضعنا الداخلي ونتدارك تقصيراتنا ونواقصنا. فإذا أصلحنا هذا الجانب سوف يكفينا الله تعالى العامل الثاني، أي إنه تعالى سوف يحبط إعلام العدو.

في مناجاة الشاكين المنسوبة للإمام السجاد (سلام الله عليه) نجد أن أول شكاية يبثها الإمام هي شكواه من نفسه: «إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمارة وإلى الخطيئة مبادرة». ثم بعد أن يشكو نفسه بعض الشيء يقول: «إلهي أشكو إليك عدواً يضلني». الشكاية من أنفسنا أولاً ثم الشكاية من العدو. ينبغي أن نراقب ونحذر هذا الجانب.

طيب، من الذي يراقب وكيف نراقب؟ الجواب هو أن على المسؤولين والشخصيات البارزة والمثقفين والعلماء وأصحاب التأثير في محيطهم.. يجب عليهم قبل غيرهم أن يراقبوا. كما ذكرنا فإن طلب السلطة والميل للدنيا والنزوع للخلافات وإثارة القلاقل والضجيج بخلاف أخلاق المسيرة والحركة. وأريد هنا التشديد على مخالفة أخلاق المسيرة.

مناخ الإهانات وهتك الحرمات في المجتمع من الأمور التي يمنعها الإسلام. يجب أن لا يحدث هذا. مناخ هتك الحرمات بخلاف الشرع وبخلاف الأخلاق وبخلاف العقل السياسي. لا إشكال إطلاقاً في النقد والمخالفة والتعبير عن الآراء بجرأة، ولكن بعيداً عن هتك الحرمات والإهانات والشتم والسباب وما إلى ذلك. والجميع مسؤولون في هذا الباب. هذه الممارسات فضلاً عن أنها توتر الأجواء وتسبب اضطراب الأعصاب الهادئة للمجتمع - والهدوء اليوم مما نحتاج إليه - فإنها تغضب الله تعالى عنا. أريد أن تكون هذه رسالة لكل الذين يتحدثون أو يكتبون سواء في الصحافة أو في مواقعهم الالكترونية الشخصية.. ليعلموا جميعاً أن ما يقومون

به ليس صحيحاً. المعارضة والاستدلال وإدانة الأفكار السياسية أو الدينية الخاطئة شيء، والابتلاء بهذه الممارسة المنافية للأخلاق والمخالفة للشرع والمتناقضة مع العقل السياسي شيء آخر. إننا نرفض هذه الثانية رفضاً كاملاً قاطعاً، فهي شيء يجب أن لا يحصل. وللأسف فإن البعض يفعلون ذلك. إنني أوصي الشباب خصوصاً وبعض هؤلاء الشباب هم بلا شك أفراد مخلصون مؤمنون وصالحون لكنهم يتصورون أن هذا واجب، لا، بل أقول إن هذا بخلاف الواجب وعلى الضد من الواجب.

طبعاً يجب أيضاً عدم الغفلة عن المندسين وإغراءات الأعداء الشيطانية وتدخلاتهم. وكما كان يقول الإمام الخميني مراراً: أحياناً يدخل هؤلاء الأفراد التجمعات الحماسية الإيمانية المخلصة ويجرونها نحو اتجاه معين. يجب عدم الغفلة عن هذه النقطة أيضاً. الغفلة الناجمة عن الانفعال العاطفي وعن عدم مشاهدة أيدي الأعداء. لذلك أطلب من الشباب خصوصاً أن لا يسمحوا باستمرار مناخ الغيبة والتهم والشتائم والسباب وهتك الحرمات. وإذا استمر هذا المناخ فسوف يسري وينتشر - كالمرض المسري - وتجدون فجأة مثل هذه الأمور أحياناً في صلوات الجمعة، وهي أماكن للخشوع والذكر والتوجه إلى الله، وهذا خطأ في خطأ. إذا كان الشخص يرفض خطيب صلاة الجمعة فلا يحضر خطبته أساساً ولا يقتدي به وليخرج. وحتى في الدروس أحياناً وفي المناخات العلمية والدراسية تلاحظ أمور من هذا القبيل. وهذا خطأ ومضر وبخلاف مصلحة الثورة. إنها ضربات توجه وإيجاد شقاق وفواصل وتصديع لصرح النظام الإسلامي العظيم الشفاف الهائل الذي يسير ويتقدم بكل اقتدار.

ولدي نصيحتي للأكابر أيضاً. كانت تلك نصيحتي للشباب، والكبار أيضاً بحاجة إلى نصيحة، وهم أيضاً يجب أن يتنبهوا. اتخاذ المواقف الصحيحة والتصريحات الصائبة وعدم التأثير بالأخبار الكاذبة.. هذا أيضاً واجب. هناك الآلاف في النظام الإسلامي يبذلون الجهود ويتحملون المشاق

من أجل رضا الله ويشقون على أنفسهم ليل نهار من أجل إنجاز الأعمال وإدارة النظام والنهوض بالواجبات الجسيمة جداً طبقاً للمسيرة الإسلامية، ثم يسمع المرء خبراً كاذباً فيشكك في كل هذه الجهود وفي المسؤولين الحكوميين وغيرهم وغيرهم. هذا أيضاً ليس من المصلحة في شيء وهو خلاف. أولئك الشباب يجب أن يراقبوا وهؤلاء الشيوخ أيضاً يجب أن يراقبوا. إننا بحاجة للنصيحة في فترة شبابنا والآن أيضاً حيث بلغنا سن الشيخوخة.

نتمنى أن يعيننا الله تعالى جميعاً لنستطيع إن شاء الله الحفاظ على هذا النموذج الناجح والعظيم جداً، وهو نظام الجمهورية الإسلامية، وتسليمه إن شاء الله للأجيال القادمة، فنكون بذلك مرفوعي الرأس عند الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الهوامش:

١ - سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

